

تجربة « الثقافة الجديدة » العراقية

حول دور المجلات الادبية والثقافية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي

مجلا بقي المجلة غارات العدو .. وتحمي به كتابها .. وقد طرحت الثقافة الجديدة - حينذاك - اسئلة (يصح ان طرحها مجلات اخرى، افريقية وآسيوية ، في ايامنا هذه ، تبعا للظرف الملموس في البلد المين) .

ما جدوى التجريد العام في المقالات ، تفاديا لمجابهة الحكم الرجعي؟؟ .. اذا كنا على يقين بان قوة الجذب - للمجلة - تبقى دائما في معالجاتها الملموسة ..؟

ثم كيف ترفع المجلة كفاحية المثقف ، وتجعل ممارسته لعملية الابداع الفكري ممارسة سياسية ، اذا اعتمدت التجريد مبدأ؟؟ . هل ان نبذة تنقل من هذا الظل الى ذلك ، وتجنب كل هبة ربح تكون قادرة على صيانة نفسها حين تهب العاصفة؟ (حتى وان استطلت وبلغت مبلغ الاشجار) . اذن لا بد من موازنة دقيقة ، تتفادى بها مواجهة الحكم الرجعي المطلق ، وترفع كفاحية المثقفين ، وبالتالي تؤدي مهمتها ..

اذا القينا نظرة على العدد الاول ، نلاحظ ان المجلة كانت تقترب من المشاكل العراقية من خلال مشاكل العالم ، وتعرض الخاص في موازاة العام .. وتعالج القضايا الملموسة عبر معالجات نظرية ، كما فعل كاتب مقال (البيروقراطية والدولة) .

يتحدث عن البيروقراطية ، ويعرفها تعريفا علميا ، من وجهة نظر طبقية ، ثم يتحدث عن الدولة ونشوتها ، منذ العصور البدائية ، حتى يتوقف عند نظام دولة ، تشبه دولتنا - يومذاك - وفيها مجلس نواب - ايضا - اغلبيته مطاوعة .. اداة بيد المالكين والمنتفذين . ثم يستمر في تمريه نظام الانتخابات في ظل سلطة الملاك وكبار الراسماليين « .. فاذا لم تعد جميع هذه القيود مفيدة لاحتلال اغلبيية مقاعد البرلمان ، عندئذ تعتمد الطبقة الحاكمة الى تقييد سلطات الهيئة التشريعية ، لحساب السلطة التنفيذية (التي تسيطر عليها) وتقوم بنفس الوقت بتركيز السلطات بيد الوزراء وممثلهم في الاقاليم ، واخر ما تلجا اليه هو اعلان النظام الدكتاتوري ، لتسن القوانين التي تفيدها ، دون رقابة شعبية ، او قد تلجا من حين لآخر الى تعطيل القوانين التي سنتها بنفسها والتي تضمن لافراد بعض الطمانينة على حرياتهم (كالاحكام العرفية) .

ويواصل (الباحث) تمريته لنظام الحكم ، فيحدث العراقيين عن تفسخ جهاز دولتهم ، واسباب نفشي الرشوة والوساطات ، ولكن باسلوب اتخذ طابع البحث النظري العام ..

وتجد المجلة اكثر من فرصة للتعبير عن وجهة نظرها .. سواء من خلال البحث « نظرية القانون الصرفة - لهانز كلزن - والنقد العلمي لها » ، او من خلال تقديم : شخصية الشهر « زولا - فارس الحق » .

اندريه موروا

مسرحة الشهر « العادلون » البير كامو
كتاب الشهر « هيفو شاعر واقعي »
اراكسون

وحتى من نقد لاصدارات عراقية ، ذات طابع تاريخي او قانوني .. فحين تستعرض المجلة كراس « الاحكام العرفية » وهو بحث فانوني صرف - تقول : .. كانت الاحكام العرفية المشنومة سيف ارهاق يعمل

فضلت هيئة تحرير « الثقافة الجديدة » ان تكون مساهمتها في ندوة المجلات الادبية والثقافية الاثريوية الاسيوية ، من خلال عرض تجربة المجلة ، لسبب معين ، في الاقل كون « الثقافة الجديدة » قد واكبت مراحل مختلفة من تاريخ العراق المعاصر ، وعاشت انظمة مختلفة، وتعرضت لسحب الامتياز اكثر من مرة .

صدرت « الثقافة الجديدة » عام ١٩٥٣ ، وكان العراق تابعاً يدور في فلك الاستعمار ، تعصر خيرات الاحتكارات العالمية ، وما فضل منها مقسم بين الاقطاعية والكومبرادور ، وكبار الموظفين ..

وكانت اجهزة الدولة ، تبعا لذلك ، اداة بيد الاقطاعيين وشركائهم ، تمارس ايشع صنوف تدخل الدولة في شؤون المواطنين .. حتى تحول العراق الى سجن كبير ، صودرت فيه ابسط حريات التعبير .. والابداع ، وكان مالوفا اعتقال المواطنين وسجنهم ، على الظن والتهمة ، كانت القوانين من ذلك النوع المسمى قانون « ما شاكل ذلك » .

لم تكف سلطة الاقطاعيين وشركائهم ، عملاء الاستعمار ، بسجن الشيوعيين والديمقراطيين المستقلين وشتى القوى القومية التقدمية المعارضة ، بل راحت تدبر الخطط لاغتيالهم داخل السجون ، فقبل حوالي شهر من صدور « الثقافة الجديدة » نفذت الحكومة مذبحه في سجن الكوت (١٩٥٣/٩/٢) اذ حصدت رشاشاتها من السجناء السياسيين ٨ شهداء و ١٠٣ جرحى ، بسبب اعلانهم الاضراب ، لاكثر من شهر ، احتجاجا على مجزرة سجن بغداد التي دبرتها الحكومة ضد السجناء السياسيين ، وكان ضحيتها ٢٢ شهيدا وحوالي ٥٠ جريحا .

في مثل تلك الاجواء المشبعة برائحة البارود والموت ، صدرت « الثقافة الجديدة » وهي على وعي تام بالهام المطروحة امامها .. وتترك جيدا تحت ظل اي نظام تعمل .. لقد اراد لها الحزب الشيوعي العراقي ان تستقطب المثقفين ، المعادين للاستعمار ، لتكوين الجبهة الثقافية العريضة ، على نحو يستجيب لمتطلبات مرحلة التحرر الوطني .. وكان من اللازم - مراعاة المجلة لتحقيق ان امتيازها (ادبية « غير سياسية ») - ان تزن كل كلمة وتضمن بالالفاظ ، وتترك انها تسير في حقل العام .. ولكن لا بد من السير الى امام .

كان الهدف الاقرب - في المجال الفني - تبني الدعوة لحرية الممارسة الفنية : برفع الرقابة ، والمطالبة بضمان ظروف الخلق الفني . وصولا الى تبني المثقفين للمطالب الثقافية والوطنية .. ثم كان عليها ان تنشر الفكر العلمي فتقدم نتاجات مفكرين ماركسيين من البلدان الراسمالية .. وعليها ان تتدبر مسألة ، غاية في التعقيد ، وهي تقديم نماذج من النظام الاشتراكي ، وبالتالي عكس صورة من الصراع الايديولوجي الدائر في العالم ، اذ كانت الحرب الباردة (والحارة ، الاقليمية) سمة مميزة للجو السياسي العالمي .

ان مهمة الفنانين التشكيليين ، التقدميين ، في مثل هذه العملية، اسهل - نسبيا - من مهمة الابداء .. فورا التشكيلات المعقدة بوسعهم ان يضلوا حراس النظام ، لدرجة يصعب عليهم اثبات « عدم شرعية الابداع » . واذا قورنت مهمة الابداء : شعراء وقصاصين ، بهمة كتابة المقالة ، انصح مبلغ العناء الذي يكابده كاتب المقالة ، صحيح ان ادوات تعبير الابداء في هذه المعركة الكلمات ، ايضا ، ولكن بوسعهم الالتجاء الى الرموز والايحاء .

وقيل - يوم ذاك - ان التعميم والتجريد في المقالات يمكن ان يكون

في رقاب الناس ، وكان لا بد للمثقفين من ان يساهموا في الكفاح الشعبي ضد هذا النظام .. »

وتحت باب « في ربوع الفكر » المكرس لتغطية النشاط الثقافي والاجتماعي نشرت المجلة خبرا عنوانه : « اسبوع الفضيلة ! » رسمت خلاله صورة كارينكاترية لاولئك المزمتمين « الذين نظموا اسبوعا اطلقوا عليه اسم اسبوع الفضيلة .. على غرار اسبوع المرأة ، افتتحوه من دار الاذاعة العراقية بالخطب الرنانة ، حول معارضة الدين لمنح المرأة حقوقها السياسية .. ولكي يعطوا افكارهم ، هذه ، قوة التأثير في نفوس الناس ، ادعوا انهم يتكلمون باسم الدين، ويدافعون عن مبادئه ، والدين براء من كل ما يزعمون .. »

واخر صفحات المجلة باب عنوانه « اشئان » هو مجموعة اخبار قصيرة من انحاء العالم .
نقرأ فيه هذا الخبر :
كتبت مجلة جامعة هارفارد :

« تستعد جامعة هارفارد لانتخاب رئيس جديد لها وان الانتخاب لعام ١٩٥٣ ، يمثل مشكلة تختلف تمام الاختلاف عما هو في تاريخ الجامعات ، فقد كانت جامعة هارفارد تنتخب رئيسا يرضي الطلاب والعمادات والعلم على ان يكون ممن يعتمد عليهم في المحافظة على التقليد الامريكي في حرية السؤال .. اما الان ، وبعد ان اخذ الكارثيون يراقبون الجامعة ويهدونها فلا بد من اختيار شخص يوافقون عليه ، والا فسبهاجمونها .. والكارثيون هم اتباع السناتور مكارثي ، وهم جماعة يهاجمون شيوعية روسيا ، ويبيعون لنا ولدارسنا افكار الرعب والخوف والعداء .. والكارثيون الخ ... »

ترى الى اي حد وفقت المجلة في تنفيذ خط الموازنة الذي الزمت به نفسها ؟

على اية حال ، لقد سحب امتيازها بعد صدور العدد الثاني .. وكان على المجلة ان تبذل جهدا استثنائيا لمعاودة الصدور ، فاستغلت وجود معارضة نسبية في البرلمان ، تبنى المواقف الوطنية .. وهكذا توجهت هيئة التحرير الى احد اقطاب المعارضة (عبد الرزاق الشبخلي) لاقتناعه بان اصدار المجلة شكل جيد من اشكال المعارضة للسلطة ، فقدم طلبا لاصدار « الثقافة الجديدة » باسمه وصدرت من جديد عام ١٩٥٤ على نفس النهج الذي رسمته في العدد الاول .. وقد سحبت الحكومة امتيازها قبل ان يصدر العدد التالي .. ويومها وقف النائب ، عبد الرزاق الشبخلي (صاحب الامتياز) في مجلس النواب ينتقد الحكومة وينسأل في معرض انتقاده :

– لماذا اغلقت مجلة الثقافة الجديدة ؟

فتصدى له رئيس الوزراء (فاضل الجمالي) قائلا : لانها مجلة شيوعية ، فقال النائب : ليدلني رئيس الوزراء في اي سطر وردت الشيوعية ؟ ، واجاب رئيس الوزراء بسهولة : لا توجد عبارة معينة ، يمكن الاشارة اليها ، ولكن المجلة من الفلاف الى الفلاف حمراء ! .

وحينذاك وجه ليف من اساتذة الكليات والمعاهد (اغلبهم من غير الماركسيين) رسالة احتجاج على غلق المجلة ، وقد نشرت الرسالة في الصحف ، فاحدثت ضجة نسبية .. وادت الى فصل عدد من الاساتذة .

لقد استطاعت المجلة باعدادها الثلاثة ان تخلق الجبهة (الثقافية) الوطنية وذلك من خلال تجمع الادباء والفنانين وكل المثقفين التقدميين حولها ، وما تقدم مذكره الاحتجاج التي وقعها عدد كبير من المثقفين غير الماركسيين الا مثال على نجاح المجلة في رفع كفاحية المثقفين وجرحهم الى ساحة المطالبة بالحرية الديمقراطية .. وقدمت المجلة ، في اعدادها الثلاثة ، اسماء ادباء وفنانين ، اشتهروا فيما بعد ، على

الصعيدين العراقي والعربي ..

وعينت المجلة منذ صدورها باصدار الكنب والكراريس في مختلف المجالات الفكرية والادبية لبيت دورا ايجابيا في توعية الرأي العام وفضح الحكم الرجعي .. وقد صارت اعداد المجلة الثلاثة ومنشوراتها ، حتى بعد اغلاقها ، اشبه بمنسوخة تتلذذ فيها العديد من المثقفين وتعلموا تطبيقيا – مبدأ الالتزام في الادب والفن ، وكان يومها مدار نقاش لم يصبح من المسلمات بعد ، حتى بين التقدميين ..

ونعتقد (من تجربة الاعداد الثلاثة) ان المجلة حاولت اتباع الاسلوب اللام في معالجاتها ، ولكن السلطة الرجعية كانت تزداد شراسة ، عشية دخول العراق في الحلف التركي الباكستاني (الذي اصبح فيما بعد حلف بغداد) وما كان يوسع المجلة ان تسيء النظر في اسلوبها .. او تطرح على نفسها اسئلة جديدة ، مثل :

هل الابقاء على الامتياز هو الهدف الاول ؟

هل تستغل بخيمة الرمز والتجريد .. ؟

على اية حال .. يبدو انها قد تآثرت بروح التحدي المتزايدة بين صفوف الشعب .. واستمرت على نحو لم تطفه السلطة الرجعية .

ان ثورة الرابع عشر من تموز (١٩٥٨) التي اطلقت سراح (ملازم) العدد الرابع ، الذي بقي حبيسا من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٨ ، قد وضعت على عاتق المجلة مهام جديدة وصعبة ، نابعة من كون سلطة الجمهورية الفتية ، التي حلت محل النظام الملكي الرجعي ، كانت سلطة وطنية وديمقراطية ، من حيث العموم ، انبثقت اهدافها الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية ، بما لذلك ، من طبيعتها البرجوازية الوطنية ، والديمقراطية العامة . وقد وعت (الثقافة الجديدة) اهداف المرحلة ، وكان عليها ان تسهم في انزال ضربة بمصالح الاستعمار والطبقات الاستغلالية الكبيرة – الاقطاعية والبرجوازية والكمبرادورية – وكان على (الثقافة الجديدة) ان تسيح مفاهيم الديمقراطية وتنحو الى مؤسسات ديمقراطية ، وكان عليها ان تتبنى دعوة الاخاء القومي بين العرب والاكراد ، وكان عليها ان تعمري المفاهيم للثورة تميزت بالتأثير المتزايد للطبقة العاملة العراقية باتجاهها الثوري الذي عبر عن المصالح الحيوية والتجربة للاكثرية الساحقة من سكان البلاد ..

وشهدت هذه الفترة تحقيق المكتسبات والاصلاحات الديمقراطية . وكان للمعالجات التي نشرها (الثقافة الجديدة) دور ملهوس .. وقد اثار هذا الاتجاه الثوري في مسيرة البلاد قلق ومخاوف البرجوازية الوطنية ، التي وجدت نفسها وجها لوجه امام تعاطف وتساعد مد الحركة الجماهيرية بقيادة الطبقة العاملة ..

وبغية إيقاف الحركة الجماهيرية استعملت البرجوازية كسل اسلحتها وبدت المواجهة ساخنة ..

كان نصيب (الثقافة الجديدة) من هذه المعركة سحب امتيازها اواخر عام ١٩٦٠ بعد ان اصدرت ١٤ عددا .

وقد كتبت في افتتاحية العدد ١٧ (اب – ابول ١٩٦٠) ما يلزم :
« يشغل بال المجتمع العراقي اليوم ، وبقلقه ، وسروره المسمومة الجمهورية ، ويقلل من امكانيات صيانتها ، تعاطف النشاط المدام ، المخل بالامن والاستقرار ، الذي يأخذ صورا من جرائم التهديد والاعتداء والافتعال التي تتعرض لها المواطنين بطرق غادرة لثمة ، تعرب عن وحشة ماركسيها وتجردهم من القيم الخلقية ، فمنذ اكثر من عام ، اخذت زم من المرتزقة والشقة وارباب السوادق ، بالاضافة لبعض السذج والمخدوعين المغر بهم ، اخذت تنشيط في اقطاب حائث كان مسرحيا معظم مدن الجمهورية وقراها واربابها ، وتناهات مئات والافا من المواطنين .. ومن يتشم وقائم الاحرام هذه نجد انما تناهات مواطنين من مختلف فئات ابناء المجتمع ، من طلاب ومدرسين واساتذة

ومن عمال وفلاحين وكادحين آخرين وحرفيين ، ومما يضاعف القلق في النفوس ، ويضاعف من الاساءة الى سمعة الجمهورية ، هو ان زمر السفاه يمارس جرائمها جهارا ، في الشوارع ، والمحلات العامة ، وفي وضوح النهار دون شعور بالحاجة الى الحذر ودون خوف من عتاب ..

ويمكن للمراقب ان يلمس ان جرائم التهديد والاعتداء والاختيال ضد المواطنين لا تقترب بدوافع ونزوات فردية وانها ليست غاية بذاتها ..

بعد التفسير الثوري الذي قاده حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٨ عادت « الثقافة الجديدة » الصدور في نيسان ١٩٦٩ ، ومع انها ظهرت بنفس الاسم ، وكما كانت من قبل ، مجلة الحزب الشيوعي العراقي ، الا انها ابتدأت تسلسل اعدادها من رقم ١ وقد اصدرت حتى الان ٦٨ عددا ..

ان « الثقافة الجديدة » في مرحلة اصدارها الجديد قد انتقلت في كل ما تكتبه من مجال الشعارات السياسية العامة الى معالجة اخطر القضايا الوطنية والقومية للموسم ، واعطاء الحلول لها ، كمعالجتها للقضية الكردية ومسألة الحكم الذاتي ، وتحليل مفهوم الجبهة الوطنية ، وتشخيص قواها الاساسية ، وقضايا الاقتصاد والاجتماع : كتأميم النفط ، وتنفيذ اصلاح الزراعي الجذري .

واولت المجلة عناية خاصة لعقد الندوات الموسعة والمتخصصة ، لمناقشة وانضاج آراء حول قوانين العمل .. مناهج التعليم .. مشاكل المرأة العراقية ..

وفي مجال الادب والفن ، الى جانب عنايتها بالتراث الوطني والقومي والانساني ، الذي تعتقد انه ارث حضاري مشاع ، واصلت عقد الندوات لمناخات الاتجاهات الجديدة .. اولت الشباب - كعدها - رعاية خاصة ..

كانت « الثقافة الجديدة » منذ عهدها الاولى ، وما زالت ، معنية بربط قضايا التحرر الوطني والقومي بحركة التحرر العالمية ، وبتأكيد وحدة نضال القوى الاساسية المعادية للامبريالية :

- المنظومة الاشتراكية

- الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية

- حركة التحرر الوطني في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ..

وقد اتاحت لها فرصة ترسيخ هذا المفهوم ، خلال السنتين الاخيرتين ، فعمدت الى زيادة عدد صفحاتها واصبحت تتراوح بين ٢٦٠ - ٣٠٠ صفحة . وخصصت حيزا لا يقل عن الثلث ، لنشر نتاجات مترجمة لخبرة مفكري العصر ، وفي شتى الميادين ، لمعالجة قضايا التحرر في امريكا اللاتينية وافريقيا واسيا .. ولمعالجة مشاكل الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .. الى جانب تقديم التجارب الاشتراكية .. خبرة الدول الاشتراكية في معالجة بعض المشاكل وتجاوز الصعوبات وبناء الحياة الجديدة .. وظهور الانسان الجديد ..

وبعد ، يصح القول : ليس عبثا ان « الثقافة الجديدة » توزع في بلد تسوده الامية - كالعراق - من ١٥ - ١٢ الف نسخة شهريا .. ان لذلك اسبابا يمكن ان تكون قد توضحت .. وان تجربتها من خلال مسيرتها الان بين « ايدي » زميلات لها في النضال ..

وبعد هذا العرض لمسيرة مجلة مميّنة هي « الثقافة الجديدة » ، لا بد من الخروج ، باستنتاجات عامة حول دور المجلات الثقافية والادبية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ..

- المجلات ادوات تعبئة وتنظيم .. وسلاح فعال بيد الشعب ،

ومن هنا لا بد من تأكيد ضرورة النضال لتوفير الفرص امامها .

- في مرحلة التحرر الوطني تناضل المجلة من اجل توفير حرية الممارسة الفنية ، وتطالب برفع الرقابة ، وضمان ظروف الخلق والابداع .

- تسمى الى لف الكتاب والمثقفين حولها لخلق جبهة (ثقافية) وطنية معادية للاستعمار .. قد تكون هي المقدمة لانطلاق الجبهة الوطنية (السياسية) .

- من خلال تبني المطالب الثقافية والوطنية ، ترتفع كفاحية المثقفين ، ويدخلون معترك النضال السياسي .

- في مرحلة الثورة الوطنية ، تتخطى المجلة مطالبها السابقة وتتناضل من اجل ارساء مؤسسات مادية توفر الشروط اللازمة لممارسة الابداع الفكري .

- المجلة هي ظل الدكتاتورية وانعدام الديمقراطية السياسية ، يمكن ان توجه عناية خاصة ، للادب والفنون وبطرق خاصة تشجذ بها اذهان المثقفين .. وبالتالي تعمق وعي الفرد والجماهير ..

- مع عدم توفر صحف تقدمية اخرى تتسع مهام المجلة الى درجة كبيرة ، يتعين عليها (تبعا للطرف الملموس) ان تتناول بالشر ما هو من اختصاص الصحافة اليومية ، التي جانب كونها مجلة متخصصة ، مثل :

- النضال ضد الاستعمار الجديد ، وفضح اساليبه باستمرار ..

- النضال من اجل السلم والامن في العالم .

- التأكيد على وحدة نضال القوى الاساسية المعادية للامبريالية المنظومة الاشتراكية

الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية

حركة التحرير الوطني العالمية .

- ربط النضال الوطني والقومي بالتقدم الاجتماعي .

- النضال في سبيل الديمقراطية والاصلاحات الاجتماعية .

- النضال ضد المفاهيم الانعزالية والشوفينية .. والافكار العدمية (داخل الحركة الوطنية التحررية) وضد الافكار والمفاهيم المقامرة والانشاقية .

- الاهتمام بالتراث الوطني والقومي وربطه بالاممية وتاخي الشعوب .

- الاهتمام بالشباب من الكتاب .. ومتابعة نتاجاتهم بعناية ..

- الاهتمام بمسألة تحديد هوية المثقف والاديب والفنان ، في

مجتمع غير متجانس ، والبحث عن حل مناسب لهذه المسألة التي تشغل بال الشباب .

- على المجلة ان توسع علاقاتها بالكتاب والقراء دائما من خلال النشر والتعليق على النتاجات وعقد الاجتماعات الموسعة والمتخصصة لمناقشة محتوياتها وابداء الملاحظات عليها .. وتنفيذ مقترحاتهم بالقدر الذي تسمح به ظروفها .. وبما يتلاءم وخطط العام .

- في مثل ظروف البلدان المتطورة ، وعند المنعطفات السياسية، الحادة ، تبرز نزعة الطفولة اليسارية ، وترتفع اصوات تنادي بان لا جدوى من بقاء المجلة ما دامت غير قادرة على نشر كل شيء .

- على المجلة ان تتحلى بالجرأة والموضوعية ، مع ملاحظة الشرعية القانونية ، وتوازن القوى ..

- اذا ادركنا دور هذه المجلات ، كأدوات نضالية ، وجب ان نشحن نضالا لا هوادة فيه من اجل ضمان حريتها ، ونحرص دائما على المجلات نفسها من شبك القوانين الجائرة - ان الصعوبات المالية ، سيف ارباب مسلط على رقاب هذه المجلات .. وان الثقافة الجديدة - رغم سعة توزيعها - كانت ستعاني الكثير من المشاكل المالية ، لولا مساندة ودعم الحزب الشيوعي العراقي .

شهران الياسري

عن مجلة « الثقافة الجديدة »